عبد الوهاب يطمح الى كل ما هو جديد على

الساحة، بينما كان صالح لا يعير اهتماما الا

للانماط التقليدية في الغناء التي تنهل من

تراث القرن التاسع عشر". ويشبّه المؤلف عبد

الوهاب" بالبحر الذي يتجدد طوال الوقت

موجاته وتباراته. اما صالح، فقد كان بشبه

النهر الذي يجرى بعفوية في اتجاه وحيد من

المنبع الى المصب". الى جانب صداقته بعبد

الوهاب، ارتبط عبد الحي بصداقة مع سبد

درويش كان اساسها الود والاخلاص. اذ كان

دوما يقدم النصح والارشاد الى سيد درويش

الذي اشتهر بالكرم حد الاسراف. وفي عام

1919، ربطته صداقة بام كلثوم التي كانت

تقيم في عمارة الجندول في شارع 26 يوليو،

ف"انتقلت الشلة للسهر عندها كل مساء

حيث كنا نقضى الليل في الطرب وحديث

الغناء" وفق ما يورد عبد الحي في مذكراته.

تلك هي الصداقات الاساسية في حياة فناننا

الذي ظل عازبا طوال حياته، رغم قصص

في النهاية، لم يصمد طويلا في مواجهة رياح

التغيير والتجديد مع تبدل الذائقة الفنية

الحب الغريبة التي جمعته بالنساء.

## كتاب الشصر

## "عرب" اللبنانية تعيد الإعتبار إلى الفنان المنسيّ صَالح عبد الحيِّ... فارس الطرب

"صالح عبد الحي: فارس الطرب"، عنوان كتاب مرجعي صدر اخيرا في بيروت بتوقيع محب جميل. يقدم لنا هذا الناقد والباحث المعروف احد ابرز الوجوه الغنائية التي ساهمت في الحفاظ على تراث النهضة الموسيقية العربية في القرن التاسع عشر

> ليس كتاب "صالح عبد الحي: فارس الطرب" (جمعية "عرب" ـ بيروت) مجرد سيرة عن احد اسياد التطريب والارتجال في تاريخ الموسيقي العربية. بل ان الكاتب والصحافي المصرى محب حميل يقدم عبر سبرة صاحب اغنية "لبه با بنفسج" بانوراما عن الحباة الثقافية والاجتماعية والسياسية والفنية وشكل الافراح الشعبية وعلية القوم في مصر منذ الحرب العالمية الاولى وصولا الى الستينات. كل ذلك من خلال تتبع ذلك الصوت الذي كان "الطريق الوحيدة إلى تراث النهضة الموسيقية في موشحاتها ومواويلها وادوارها، والضمان السليم لتزويد اسماعنا الشجية، خصوصا على آلة القانون التي تسبق "تسلطن الليالي والعيون" تههيدا للاستقرار في احوال الطرب"، على حد تعبير الناقد الموسيقي اسعد مخول في مقدمة الكتاب.

> صالح عبد الحي (1896 ـ 1962) ظل، حتى رحيله الحزين، الحارس الامين لالحان عبد الرحيم المسلوب، وعبده الحامولي، ومحمد عثمان، وابو العلا محمد وغيرهم من اساطين التلحين والغناء. مثل الصلة الاخيرة بين نهضتين موسبقيتين: الاولى تصدرها عبده الحامولي ومحمد عثمان وغيرهما، والثانية هي زمن ام كلثوم ومحمد عبد الوهاب ورباض السنباطي. اذ بعتبر عبد الحي احد ابرز الوجوه الغنائبة التي حافظت على الارث التقليدي لمدرسة النهضة الغنائية، خصوصا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في القاهرة. فمع انتشار الاسطوانات، راح يسجل بصوته العديد من الاعمال الخاصة برواد تلك

يبدأ محب جميل كتابه المقسم الي ثمانية فصول الحديث عن المناخ السياسي والاجتماعي والفنى الذي سبق ولادة صالح

عبد الحى ومهد له. اذ من المهم معرفة ان رغبة الحكام لعبت دورا كبيرا في رعاية الموسيقيين ودعمهم في ذلك الزمن. اشتهر الخديوي اسماعيل بحبه للموسيقي، ويحكى انه كان "بدفع 15 حنيها مصرية كمنحة شهرية للمطرب عبده الحامولي (1814 ـ 1901)، و10 حنبهات للمطربة المظ (1860 ـ 1896)"، وافتتح دار الاوبرا المصرية عام 1896. الا ان المفترق الحاسم في مسيرة الفن المصرى تمثل في ظهور المسرح كاحد اشكال التعبير الفنى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فاثرى الحالة الابداعية. مع الوقت، اخذ بالنمو والازدهار وانخرطت فيه نخبة من كبار موسيقيى ذلك الزمن من امثال كامل الخلعي (1881 ـ 1931)، وسيد درويش ـ 1870)، وداود حسنى (1870 ـ 1892) 1937)، وزكريا احمد (1896 ـ 1961).

في هذا المناخ المحمل بالوعود، ولد صالح عبد

الحي في حارة درب الحلواني في منطقة السيدة

زينب في القاهرة. لم تكن طفولته سعيدة،

اذ توفى والده قبل ان يبص هو النور، فيما

تكفل باعالة العائلة خاله المطرب الكبير عبد

الحي حلمي (1860 ـ 1913) الذي تخطت

شهرته مصر الى بلاد الشام. وقد وصفه المؤرخ

قسطندى رزق في كتابه "الموسيقى الشرقية

والغناء العربي" بأنه "صاحب صوت كبر

وعال". هذا الخال الذي اخذ صالح عبد

الحي كنيته، كان ذا تأثير بالغ في ذائقة الفتي

الموسيقية كما في تشكل وعيه الفني. سريعا،

سيبرهن هذا الطفل عن مقدرة كبيرة على

التعلم وحفظ القرآن، فيما سيحفظ من خاله

مختلف ضروب الادوار والموشحات والمواويل.

الجرح الاول في حياة صالح يتمثل في وفاة

خاله. اذ سينتقل الى بيت خاله الاكبر عبد

الوهاب حلمي الذي مارس عليه مختلف

لحظة غنائه في منزل محمد باشا عرفي زوج الاميرة زبيدة شقيقة الخديوي عباس في منطقة حلوان. هناك، ظل يغنى امامها دور "ياما انت واحشنى" حتى الفجر، ما اثار ذهول الحاضرين. بعد هذه الليلة، تعهده الباشا وخصص له غرفة في القصر كي يغنى لضيوفه. احتكاكه بعالم الطرب جعله ايضا يتعرف الى عازف القانون الشهير محمد عمر الذى اشركه في افراح وسهرات علية القوم، ودربه على ادوار عبده الحامولي وعبد الحي حلمي حتى صار صالح عبد الحي اشهر مطربي مصر، وانهالت عليه العروض.

اصناف التعذيب التي وصلت الى حد محاولة

قتله قبل ان بعود الى كنف والدته التي كانت

قد تزوجت. العوز والحاجة والفقر هي التي

ستدفع صالح الى الواجهة، اذ سيضطر الى

دخول عالم الغناء والطرب من اجل المساعدة

في تحصيل المعيشة. بدأ في حي المغربلين الذي

كان مقر جماعة "الصهبجية". هكذا، انضم

الى الجماعة التي كانت تقدم مجموعة من

الاغنيات التي يعود اصلها الى الموشح. راق

لصالح عبد الحي هذا المناخ الفني الذي اتاح

له التعرف الى على الرشيدي، اشهر عوادي

مصر حينها، فاخذه تحت جناحيه واعطاه

دروسا في الطرب والغناء، وصار صالح يرافقه

المفترق الحاسم في مسيرته الفنية، كانت

في الافراح والليالي.

هكذا، بصوته الجهوري المشبع بالروح المصرية الاصيلة، "مضى صالح عبد الحي في عالم الطرب، ينهل من ارث السابقين، ليطوعه بفضل حنجرته الثرية وقدرته على التطريب وجذب الاسماع. لم تكن شهرته تقتصر على فئة بعينها، بل نجح في كسب اعجاب كافة الفئات من افراد الشعب الى الاسر الثرية". هذه الشهرة مهدت تلقائيا لدخوله عالم

المسرح الغنائي، فانضم الى فرقة "سلطانة الطرب" منيرة المهدية (1885 ـ 1965) التي قدم معها رواية "توسكا" في احد مسارح اشهر شارع في قاهرة ذلك الزمن، هو شارع عماد الدين عام 1929. كان هذا العمل من توقيع الموسيقار كامل الخلعى واخراج عبد العزيز خليل. بعدما استقل وشكل فرقته الخاصة، جاء الكساد الكبير في الولايات المتحدة (بين عامي 1929 و1933) لتمتد تبعاته الاقتصادية الى العالم كله، فانتشرت البطالة، وزاد الفقر والجريمة. ما دفع عبد الحي الى حل فرقته والتفرغ لوصلاته في الاذاعة الحكومية.

في الواقع، لعبت الاخيرة دورا في دعم الفن والطرب منذ انطلاقها في 31 ابار 1934. وكان صالح عبد الحي في طليعة المنضمين اليها، حيث قُسم الموسيقيون والمطربون فيها الى صف اول يضم نجوم المغنى والطرب، وصف ثان اقل اهمية. طبعا ضم الصف الاول صالح عبد الحي الي جانب ام كلثوم وزكريا احمد ورياض السنباطي. اما الصف الثاني فضم نادرة ونجاة على وليلى مراد وغيرهن.

كان صالح عبد الحي من اوائل الاصوات التي انطلقت على الهواء، وامتدت وصلاته فيها حتى اواخر الخمسينات. يورد محب جميل انه طوال هذه المدة، لم يغير اسلوبه في الغناء ورفض حمل مشعل التجديد الذي جاء به سيد درويش وواصلته مجموعة من الموسيقيين على رأسهم عبد الوهاب ومحمد القصبجي وزكريا احمد ورياض السنباطي. بل ان عبد الحي اورد في مذكراته انه بدأ يضيق ذرعا محدير الاذاعة محمد امين حماد لانه طلب منه تقديم الحان حديثة لانها اكثر رواجا بالنسبة الى المستمع ين. في الواقع، كان من اشرس المنتقدين لانصار التجديد في الموسيقي الشرقية. وقد عبر عن هذا الموقف مرارا وعلى الملأ. من ابرز تصريحاته في هذا المجال ما قاله لجريدة "الشعب": "الشرق شرق مهما حاولوا ان يغيروه وسنظل نكتب من اليمين الى اليسار، ونرتل آيات القرآن الكريم بالاسلوب والانغام العربية التي

ورثناها مع تحسينها والتطور بها كما فعل

المرحوم محمد رفعت (...) ان الجاز وانغامه



غلاف الكتاب.



## تمتع بحنجرة ثرية وقدرة مذهلة على التطريب وجذب الاسماع

نبتت في بيئة مجنونة، متسرعة، مستهترة

ونحن الى الان لم نجن ولم نتسرع ولم نستهتر.

لذا، فان الجاز لن يعيش بيننا. المطلوب من

صحيح انه لم يوافق على الانماط الموسيقية

الغربية التي ادخلها عبد الوهاب الى الموسيقي

العربية، الا ان هذا لا منع ان صداقة هي

الاغرب من نوعها جمعت الاثنين. يورد صالح

عبد الحى في مذكراته انه في اللحظة التي

استمع الى ذلك الشاب الصغير الذي يرتدي

الجلباب ويضع فوقه جاكيتة "ادركت انني

امام مطرب جدید سیکون له شأن عظیم".

فعبد الحي سبق عبد الوهاب في الدخول الي

عالم الطرب، لكن "رؤية عبد الوهاب كانت

اكثر انفتاحا وحداثوية ان جاز التعبير. كان من الاعمال الخالدة".

الموسيقي هو ان تخاطب ارواحنا".



والموسيقية والتحولات التي طالت المجتمع المصري. بحلول عام 1957، انقطع عن الغناء في الاذاعة، وصار حبيس منزله في منطقة حدائق القبة. انزوى في منزله البسبط، بعبدا من الاضواء "يستقبل ضيوفه بالجلباب الابيض ونظارة وصحون من الترمس واقداح من القهوة"، وصار اشبه موضة قدمة انفض عنها الناس. ومع الوقت ازدادت الامراض التي عاني منها والعمليات التي خضع لها الى ان فارق الحياة في 3 ايار 1962. المؤسف ـ كما يورد الكاتب ـ ان جنازته كانت بسيطة لم عش فيها فنان واحد! فقد شيعه الى مثواه اقل من ستين شخصا من بينهم مندوب عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. بل انه حتى اليوم، لا تبث الاذاعة المصرية ايا من اعماله، كأنه لم يكن حارس التراث المصرى، ولا اغنى الطرب بصوته واسهاماته. وها هو كتاب محب جميل كأننا به يرد بعضا من الجميل الذي قدمه صالح، هو الذي كان صوته "مرآة لعصره وجيله من المطربين الذين اثروا الساحة الفنية بالعديد